عصـــور - تصنيف ج- المجلد 23 / العدد01 - جوان 2024
4237 1112- ISSN 6278-2600 EISSN
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:(DOI)1054239/2319-023-001-013

البعد السوسيولوجي للموروث الثقافي في عين الملح (1957-1999): التاريخ والثقافة

The sociological dimension of the cultural heritage in Ain El Melh (1957-1999): history and culture

د.نورالديـــن خـــــزار *
جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس/ (الجزائر).
khazzar.nrd@gmail.com

تاريخ الإرسال:2024/01/20 **تاريخ المراجعة:2024/02/05** **تاريخ القبول:2024/04/15**

الملخص:

إن فكرة انتقال شيء ما عبر الزمن هو المعنـى الأصـلي لمصـطلح التـراث، فهو يشكل جزءا أساسيا من مكونات الشخصية، باعتباره مخزوناً ثقافياً يتم توارثـه من جيل لآخر عن طريق التنشئة الاجتماعية، لذا فهو يكتسب صفة التقليدية لكونـه يضم عادات وتقاليد وثقافة المجتمع بكـل عناصـره الماديـة واللامادية، حيـث أنهـا تصـير وتتطـور إمـا فـي اتجـاه الانكمـاش، أو فـي اتجـاه الانتشـار، ويـتم إثراءهـا بتجارب وخبرات أهلها فـي كـل المجـالات، وكـذلك باحتكاكهـا سـلبا أو إيجابـا مـع الهويات الثقافية الأخرى، التي تستمد جوهرها مـن أصـول مـشتركة فـي الجغرافيا والتاريخ واللغة والسَّجايا والواقع المعيش، كمحصَّلَة تُنْمَـي إليها شتى فروع الثقافة، من هنا ارتأينا أن يتناول موضوع بحثنا عن تـراث منطقـة عـين الملـح لمـا لـه مـن أهمية الإنسانية والاجتماعية في الحفاظ على الهويـة وإبـراز صـورة المدينـة ثقافيـا وسياحيا، وإطـلاع الأفـراد لاسـيما الجيـل الجديـد علـى مـوروث مـدينتهم فـي ظـل التغيرات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: عين الملح؛ التاريخ؛ المـوروث الثقـافي؛ سوسـيولوجيا؛ الهويـة الثقافية؛ الإمكانيات؛ الإستراتيجية؛ التغير الاجتماعي.

* **د.نور الدين خـــــزار ، جامعة سيدي بلعباس.**

Abstract:

The idea of transmitting something over time is the original meaning of the term heritage. It constitutes an essential part of the personality components, as it is a cultural stock that is passed down from one generation to another through socialization. Therefore, it acquires a traditional character because it includes the customs, traditions, and culture of society with all its material and intangible elements. As it becomes and develops either in the direction of contraction, or in the direction of expansion, and it is enriched by the experiences and expertise of its people in all fields, as well as by its interaction, negatively or positively, with other cultural identities, which derive their essence from common origins in geography, history, language, characteristics, and living reality, as an outcome to which it develops. Various branches of culture. Hence, we decided that the topic of our research should address the heritage of the Ain El Melh region because of its humanitarian and social importance in preserving identity, highlighting the image of the city culturally and touristically, and informing individuals, especially the new generation, about the heritage of their city in light of social changes.

Keywords: salt spring; the date; cultural heritage; Sociology; cultural identity; Possibilities; The strategy; Social change.

- مقدمة:

بات الموروث الثقافي يشكل رمزا للهوية وعنصرا أساسيا لذاكرتنا، حيث يحمل مبادئ وقيم أسلافنا وينقلها إلى الأجيال القادمة، لذلك فإن مسألة الاجتهاد للحفاظ عليه ظلت مطروحة عند مختلف الدول الحريصة على فرض وجودها، وتثبيت كيانها، لكن في خضم الأوضاع السائدة في العصر الحديث من تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وكذا التوسع العمراني، باتت تطرح مسألة مصير الموروث الثقافي بإلحاح شديد في سبيل تثمين الموروث الثقافي من خلال الاستثمار فيه لخدمة المجتمع والأجيال القادمة، الشيء الذي

جعل السلطات الجزائرية تسعى إلى الاهتمام به واستثماره، من خلال جهود وزارة الثقافة والفنون.

ولهذا سنحاول في الورقة البحثية مقاربة الموروث الثقافي والكشف عما يمثله من تنوع تمت وراثته من الأب الماضي ـــ السلف في الابن الحاضر ـــ الخلف في منطقة عين الملح، التي تعد أحد أهم الدوائر في ولاية المسيلة، ومن أغنى المدن بالموروث الثقافي بكل تنوعاته الثقافية، الأدبية، والمعمارية، وإطلاع الأفراد لاسيما الجيل الجديد على موروثات منطقتهم، وتعزيز روحهم الإنسانية والوطنية وتحفيز قدراتهم الإبداعية من خلال معرفة ما خلفه أجدادهم، والاهتمام ما خلفه أسلافنا لتعزيز الروابط الإنسانية والوطنية مع تفعيل الحوار المتبادل ضمن الهوية الإنسانية والثقافية للمجتمع.

فيما تتجلى معالم إشكالية هذه الورقة البحثية حول كيفية حماية الموروث الثقافي لمنطقة عين الملح من التغيرات الاجتماعية ومساهمته في الحفاظ لهويتنا الثقافية الجزائرية.

وللإجابة على هذه الإشكالية تم طرح التساؤلات التالية:

- ما طبيعة منطقة عين الملح تاريخيا وجغرافيا؟
- ما سبب تسمية المنطقة بهذا الاسم؟
- فيما يتمثل الموروث الثقافي بها وعلى أي أساس؟
- ما هو دور بيئة المنطقة وتفاعلها اجتماعيا وثقافيا مع محيطها الطبيعي والبشري في الحفاظ على الهوية الثقافية؟

وفق هذا الطرح تبرز أهمية الدراسة الحالية من أهمية الموضوع الذي تعالجه، لأن موضوع الموروث الثقافي يعتبر في غاية أهمية بالنسبة لكل مجتمع، وهذا ما تطمح إليه المنطقة التي تعتمد بالدرجة الأولى على كل ميكانيزمات الحفاظ على هويتها الثقافية في التحقيق الرقي الحضاري وتماسك النسيج الاجتماعي.

1- البيئة الطبيعية لعين الملح من منظور السوسيو - تاريخي:

1--1- أهمية المدينة وتاريخها:

إن مدينة عين الملح أو مدينة العقيدين كما يسميها البعض، هي مهد تنشئة وتعليم شيخ المجاهدين عاشور زيان، حصل لها شرف استشهاد البطلين العقيدين سي الحواس وعميروش أيت حمودة، وهي من أقدم دوائر وعاصمة الجنوب اختارها الاستعمار لتكون إقليما عسكريا، لأهميتها الاستراتيجية خاصة لأجل التوغل نحو الجنوب والتحكم في الأطلس

الصحراوي الشاسع، فأصدرت السلطات الاستعمارية قانونا عام 1845م لإلحاق الجزائر بفرنسا وتقسيمها إلى ثلاث مناطق:(عميراوي، 2004، صفحة 42).

- منطقة مدنية (لوجود العنصر الأوربي) تخضع لإدارة مركزية مثل القرى والمدن الساحلية.
- منطقة مزدوجة (يقل فيها العنصر الأوربي) بحيث يخضع الاوربيون للحكم المدني والأهالي للحكم العسكري.
- منطقة عسكرية (ينعدم فيها العنصر الأوربي) تخضع لنظام عسكري مثل الهضاب العليا والصحراء والأوراس.

وبحكم وجود منطقة عين الملح في منطقة الثانية خضعت لنظام العسكري بموجب المرسوم المؤرخ في 1850/12/14م، تحت قيادة نقيب **"بان"** بـ بوسعادة والتي بدورها قسمت إلى ثلاث قيادات:

- قيادة الحضنة (مسيلة وما جاورها).
- قيادة أولاد الدراج (شرق مسيلة وما جاورها).
- قيادة أولاد نائل (بوسعادة وما جاورها)، منها قسمت إلى أربعة قيادات بموجب المرسوم المؤرخ في 1875/04/02م، تحت قيادة وادي شعير منها أولاد أحمد (عين الملح) بقيادة بومدوحة أحمد.

فعين الملح تبعد عن ولاية المسيلة 120 كلم وعن العاصمة حوالي 340 كلم، لها حدود مشتركة مع ولايتي بسكرة والجلفة من الناحية الغربية والجنوبية، ومع دائرتي بن سرور وجبل امساعد من الناحية الشرقية والشمالية، وهي بوابة جبال أولاد نائل أقدام جبال الأطلس الصحراوي، التي يرتسم على جبينها تاريخ حافل بالأمجاد والبطولات كـ جبل بوكحيل الذي خضت فيه عدة معارك، وجبل ثامر الذي استشهد فيه العقيدين 1959/03/28م.

2-1- المنبع المائي كالموروث الثقافي وتسمية المنطقة:

عندما نتحدث عن التراث وكأنه مجموعة من أفكار وخصائص التي تتواصل باستمرار، نفترض أن توريثها حاصل بالضرورة، وأن الزمن كفيل بفرز غثها من سمينها، وأن نزعة الأصيل فيها غالبة، (التواصل في توريث التراث، على تلاقٍ في الإبداع واستمرار في الحفاظ والإحياء)، ويحلو لنا عادة أن نتمثل ما جاء في قوله تعالى:﴿ فأما الزَّبدُ فَيذْهَبُ جُفَاءً وأَمّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾(سورة الرعد، الآية 13).

وهذا صحيح، ولكن ينبغي أن نحسن إدراك العبرة من القول الإلهي، فماء السيل نفسه قد يغور في أعماق الأرض قبل أن يستفاد منه في ري الحقول، وقد يتشتت ماؤه فيذهب ماؤه غوراً، كما ذهب زبده دون أن يصل إلى الحقول وينتفع به الناس، فكثيرا ما نسمع ونقرأ أن أمة بلا تراث، أمة بلا جذور بل هي أمة بلا مستقبل، لأن الجذور هي التي تغذي شجرة الحياة، لتعطي ثمارها وتشع بنورها على الإنسانية.

وعليه؛ فمنطقة عين الملح والتي ينحدر سكانها من قبيلة أولاد نايل الأدارسة الأشراف، مالكية المذهب، رحمانية الطريقة، ولقبت بـ "حمدي" نسبة للعرش، فهي تقع في ضفة وادي عين الملح يقسم منطقة إلى قسمين شمالا وجنوبا، تتوسد على جبل يسمى جبل لجدار والذي هو وكر عرش أولاد أحمد، تتوسط بين سلسلتين جبليتين: شرقا جبل لجدار وغربا جبل حرازة، يتوسطها جبلان صغيران الأيمن يسمى دير الحمام، والأيسر يسمى مرتفع لملومة نسبة للعائلة العريقة القاطنة فوقه، وبينهما فج ضيق يسمى المقسم، أما تسمية عين الملح بهذا اسم نسبة إلى الملح الموجود بـ "الماجن"(ينظر التعليق رقم 01)، إضافة إلى منبعان متجاوران: الأول ماؤه عذب والثاني ماؤه مالح، والذي كان مصدر الرزق الأهالي من خلال مقايضة مادة الملح التي ينتجها ببقية المواد الغذائية، التي يجلبها سكان من المناطق المجاورة، فكان مصطلح الملح في عرف المنطقة يسمى "الربح" منه اختار أبناؤها التسمية على المالح فسميت عين الملح، بحيث يقول الشاعر(ينظر التعليق رقم 02):

عيون الملح إليك مني تحية ... معاني الحب هذه تشدو برفقتي
فلولا مليح أرضك طعم ولذة ... لما كان من عيش وزخرف ولذتي
ولكـــن الله قد رآها محبـــة ... فقال عين الملح كوني محبتي
فلولاها والروض مسكـــن ... لما كان من حب ولا كان مهنتي
فيا من يلمني على البعد والمدى ... أقول عين الملح نفسي وملئ محبتي
قلت هذه عين الملح هي بدايتها ... وهل أنا يقظان أصحح قبلتي

وكأن الشاعر يحن إلى تلك البيئة، لأن الاستئناس والتكيف هدفان يسعى إليهما الإنسان لتحقيق التوازن بينه وبين غيره، بالنظر إلى طبيعة حياة الإنسان وانسجامه وتوافقه مع بقية المكونات الأخرى، لأن الشاعر ابن بيئته يعبر عن كل جديد عن كل راهن أتعبه وأثقل كاهله، أصبحت النصوص تدون

على غير عادتها وتوثق بأسماء أصحابها، فأصبح الشاعر يبصم قصائده في النهاية باسمه واسم والده وعرشه أو أصله، يقول الشاعر بوضياف بن تناح ذاكرا اسمه ولقبه وعرشه (ينظر التعليق رقم 03):

البشير بوضياف اسم مسطور حرف التاء والنون والحاء عنوانو
عين الملح الدايرة مركز مشهور المزياني في نسبتوا حاب أوزانو
في التسعة والعشرين آخر الشهور في يوم المرحوم فارق جيرانو

فالمتغيرات لا تقتصر على كتابة التاريخ والاسم والعرش، وإنما تخطته إلى عناصر أخرى فشاعر يتنقل باستمرار إلى بيئات أخرى بعيدة جغرافيا وتاريخيا، وهي غير معروفة دائما، لينهل منها أو ينحت منها أشكالا ونماذج شخوصه الحاضرة أو التي يأمل في مشاهدتها لتغير الواقع، لأنها ماثلة في ذهنه، فالبيئات المؤثّرة تبدو بيئات متداخلة، وهي كذلك بالنظر إلى الانتماء الفكري والحضاري وارتباط المغرب بالمشرق لغويا وروحيا، منذ عصور وتشبثه بالعمق السوسيو - تاريخي.

2- البعد السوسيو - اجتماعي للبيئة عين الملح:

لا شك في أن لكل أمة عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وطقوسها وموروثاتها، والتي تمثل عصب تراثها أو ثقافتها الشعبية التي لا يمكن أن تتنصل منها أو تخرج عنها، وهذا ما أكده الباحث هورسكوفيتس بأنه: "لا توجد ثقافة حية تظل ثابتة، فلا قلة الأفراد ولا عزلة ولا بساطة العتاد التكنولوجي يثير الثبات التام في حياة شعب"(لباشي، د ت، صفحة 196)، فثقافة المجتمع عادة ما تعكس حقيقة قدراته مثلما تعكس احتياجاته أيضا، بحيث لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية أنماطه الثقافية وقيمه الخاصة به.

2-1- المقام أولاد أحمد:

والتاريخ الاجتماعي يؤكد أن المنطقة موضوع بحثنا كانت مفتوحة على غيرها، بقيود القبيلة والتي اعتمدت على ما يسمى بـ "المقام" (مقام أولاد أحمد)، حيث ابتكرها شيوخ الزوايا الوسيلة للبدو الرحل، كمناسبة الوحيدة التي يلتقي فيها معظم قبائل أولاد نائل (الجلفة) وأولاد الدراج وأولاد ماضي (المسيلة) وأهل الزاب نسبة للزيبان (بسكرة)، تحت وطأة الطريقة الرحمانية، "طريقة دينية نسبة إلى الشيخ امحمد بوقبرين بن عبد الرحمن الجرجري من قبيلة آيت إسماعيل"(ينظر التعليق رقم 04)، التي تقيد بها نفسها في مجال التجارة وارتياد أسواق المنطقة والرحلة الموسمية التي تنطلق

مع بداية الصيف إلى التل لتعود إلى مضاربها القديمة مع الخريف، وهي عادة لم تتغير في المجتمع الجزائري، أشار إليها عبد الرحمن بن خلدون بعبارة: "...التغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين ...(ينظر التعليق رقم 05)"(ابن خلدون، 2000، صفحة 03)، وهذه المناسبة سمحت بالتقاء عدد كبير من أهالي وغيرهم في ذلك المكان، فأصبحت نقطة لقاء تحقيقا لبعض المنافع مثلا (طرح مشاكل وحلولها خاصة التي تظهر بين الأعراش والقبائل، إضافة إلى مراجعة شيوخ الأعراف وعلماء الدين ما يحدث من مشاكل، كالنزاع والتعدي والحرمات على الأعراش وغيرها من قضايا)، فكانت هذه المناسبة فرصة للقاء الأفراد والجماعات كفرصة لتنظيم شؤون المنطقة كقوة بشرية .

وابتكار الأهالي من البدو الرحل ما يسمى بـ **"الرِتْبَـة"** (بكسر الراء) (ينظر التعليق رقم 06)، لأن القبائل البدوية أو الشبيهة بها التي كانت تمارس هذا التقليد، وجدت في تلك الهجرة الموسمية ما يحقق كفايتها من الحبوب، ويخفف عنها وطأة الجفاف في مراعي الشمال، فالضرورة المعاشية الاقتصادية كانت الدافع إلى تلك الحركة.

مما دعا تلك القبائل خلال هذه الرحلة تكوين علاقات اجتماعية، والمتمثلة في كل موسم (نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف)، وهذا لعرض خيرات ما تم إنتاجه، إضافة إلى بيع جميع منتوجات من حبوب وخضر وفواكه وتوابل وأصواف وجلود أنعام ومشتقات الحليب، وجميع أنواع المواشي وأنواع الأفرشة والملابس والأحذية... وغيرها، ليكون مناسبة لتبادل السلع وشراء مستلزمات مختلفة، كما أنه كان يسمح بيع ما كان ممنوعا من سلاح والذخيرة باعتباره غير قابل للمراقبة، مما سمح لاغتنام فرصة جمع السلاح للمجاهدين الأوائل من خلال هذه المناسبة.

أما القيم الاجتماعية تعتمد على مبدأ الديموقراطية تخضع على جماعة من أشخاص تتمتع في وسط السكان على مبدأ الاحترام والتقدير، وتعتمد على تنظيم القضايا التي تطرأ بين الأعراش والأفراد مع مراعاة الأعراف والعادات الموروثة عن الأجداد، تنطلق منهم توجيهات والأوامر والإشراف على كل مناسبات من بينها:

- تنظيم السوق السنوي (المقام) من كل فصل خريف، وهذا لحرص سكان منطقة على تخليد لأهم الرجال اصلاحا وعلما، لأنه يمثل لقاء جماعي لكثير من القبائل المجاورة للمنطقة، وما يحمله من المعاني الإنسانية من

مشاعر الرحمة والتلاحم والتعاطف، نظرا لمكانة أهل العلم والدين أمثال: ولي صالح سي أحمد بن يحي (ينظر التعليق رقم 07)، والشيخ محمد بن بلقاسم (ينظر التعليق رقم 08)، والشيخ المختار بن عبد الرحمان (ينظر التعليق رقم 09) ...

- تجنيد أبناء المنطقة لخدمة الضيوف مهما كان عددهم، كنصب الخيام واستقبال فيهم وللشيخ اقويدر لملومة باع في هذا المجال، بالإضافة إلى كل من: مسعودي الحاج، بوذراع رابح، والسعدي عمر وبن كيحول السعيد...

2-2- النظام الاجتماعي للمنطقة:

ومن حيث التقسيم الاجتماعي فإنه تقسيم عربي يبدأ بما يعرف في المنطقة بـ "الفرقة" وتدل على فرع عرقي صغير ضمن المجموعة الكبيرة أو ما يعرف بـ "العرش"، وقد تتساوى الفرقة أو العرش من حيث عدد ما عرف لدى العرب بـ "الرهط" أو الفصيلة، وهي أصغر وحدة اجتماعية بعد الأسرة، وهذه المسألة تبدوا واضحة في علاقة أهل المنطقة ببعضهم البعض(بوخالفة، 2010، صفحة 473)، بحكم أن نمط العام لدى هذه منطقة هو طابع البدوي يتحد في بعض الصفات والخصائص، ويختلف نسبيا في بعض العادات وتقاليد والعائلات، إلا أن الولاء التام والعلاقات التقليدية القديمة الحميمية بين المنطقة والمناطقة المجاورة مثل: منطقة الزاب ومنطقة الجلفة وجزء من مناطق القبائل الحضنة والأوراس، من حيث اتصافها ببعض الصفات الموحدة من حيث العادات والتقاليد، دعمت وحدة العقيدة ولم تفسدها الانتماءات التقليدية، بحيث يقول الشيخ محمد الغزالي: "رغم نقص العلم وفساد الحكم الاستعماري لم يؤثر في التقاليد الصلبة التي حفرت مجراها في الشعور واللاشعور التي شدت أعصاب هذه الأمة الإسلامية، وعادة ما تكون هذه التقاليد التي ينوه بها العتيدة أشبه بالعادات الإنسان، المرتبطة بالعبادات الشخصية الاجتماعية العامة"(الغزالي، 2005، صفحة 92)، فكثير من العادات والتقاليد التي تسلكها بعض مناطق المذكورة من طقوس ومراسيم زواج وحفلات متنوعة وتشييع جنائز وأعياد دينية ... تكون بمثابة نقاط لقاء وتقارب والمعاملات والأخلاق مع بعضهم البعض.

أما التعاون أو حملات التضامن أو ما يعرف باسم "التويزة"، بحيث المساهمة فيها طوعيا في كل النشاطات، فهي السمة الغالبة لدى السكان

والمناطق المجاورة، ويظهر ذلك بقوة في مناسبات الزواج والحصاد والحرث والبذر وحفر الآبار...

ومن أنواع التعاون والتضامن التقليدي:

- التويزة (تطوع في كل النشاطات بدون مقابل).
- العامة (احتفالات وسهرات).
- العباسية (استخراج منتوج خارج إطار الزكاة).
- الغفارة (إعانة السائل والمحروم).
- القلاعية (طعام خاص باكتمال محاصيل أثناء الجني).
- البروك (الهدية).

ومن أنواع الولائم التي عرفها أجداد سواء الفرح أو القرح :

- الزردة (الطعم المقدم عند المزارات يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام).
- الحذاق (وليمة حفظ القرآن).
- الأعذار (ختان الصبيان).
- النقيعة (للعائد من الحج).
- العقيقة (ذبيحة المولود).
- وليمة العرس (الزفاف).
- الوضيمة (عشاء أهل الميت).

وإذا ما تأملنا تلك الحقائق وبحثنا أسبابها وجدنا بعضها يتصل بالموقع الجغرافي المفتوحة تضاريسه الكثيرة والالتواءات، وصعوبة المنحدرات وعمق الفجاج والبيئة الطبيعية بصورة عامة، وما تفرضه على الإنسان من حيطة وحذر من جهة، كانت مصدر الرزق الإنسان والحيوان معا، سواء في التجارة التي يمارسونها عن طريق المقايضة أو نقدا أو في المحاصيل الزراعية أو منتجات الحيوان كالصوف والوبر والسمن وغيرها، فهم يخضعون إلى نفس النظام الاجتماعي الذي تخضع له سائر القبائل الجزائرية، وخاصة القبائل البدوية أو الشبيهة بنظامها(بوخالفة، 2010، صفحة 14).

3- البعد السوسيو- ثقافي للبيئة عين الملح:

إذا عدنا إلى رصد مظاهر الموروث الثقافي عبر مختلف أرجاء القطر الجزائري، ندرك أن هناك عناصر استمرت بصورة جدية تجلى في الفنون اليدوية تحظى باهتمام بالغ من قبل أفراد المجتمع، من التقنيات والمهارات ووصفات انتقلت عبر الأجيال كالصناعات التقليدية والنحاسية والفخارية والجلدية وبناء البيوت وإعداد الطعام وفلاحة الأرض والصيد

وغيرها(مصطفى، 2008، صفحة 229)، فمنطقة عين الملح تتمسك بعاداتها وتقاليدها، فهي تتميز بالكرم والشهامة والحرية والميل إلى حياة البادية القائمة على الرحلة الموسمية كما سبق وأن أشرنا، فجميع خصائص العضوية والانفعالية المشتركة بين الإنسان والحيوان، والذي ميزها عن بعضها البعض هي الثقافة كإنتاج حضاري يقدمه الإنسان، ويتجلى البعد السوسيو ـ ثقافي للمنطقة فيما يلي:

أ. السكن ومستلزمات الإيواء:

بدايات الأولى للإعمار كانت بالقرب من منبع الماء السالف الذكر، حيث كانت مساكن تقليدية متناثرة تتخللها بساتين وساحات للالتقاء مع وجود أحواض الملح بالقرب منها، والمبنية من الحجارة والطين وجذوع الأشجار لتسقيف المنازل، غير أن تلك المساكن لها خاصية مميزة تتمثل في وجود مدفأة تقليدية، وعدم وجود الفتحات (النوافذ) من الخارج، أما البدو الرحل استعملوا الخيمة كمسكن وتفنن الأهالي في صناعتها واستعمالها، لأنها تساعد على الترحال والتنقل والانتقال بأقل التكاليف، ولم تكن لديهم أي حدود جغرافية، فالجزائر كلها وطنهم فوجدوا في هذا الترحال متعة خاصة، بحيث يقول الشاعر(ينظر التعليق رقم10):

نلقى الخيام وقد صفت بها فغدت مثل السماء زهت بالأنجم الزهر

يمكن التمييز بين أصول منطقة من خلال لون الخيمة، وتستعمل عادة لونين الأحمر والأسود:

- **اللون الأحمر:** وفق ما هو متداول شفهيا يتميز عن غيره بشعار خيمة النوائل قاطني المنطقة، وقد أتخذ هذا اللون ـ إشارة ـ من أجل الضيوف الذين يقصدونهم مباشرة، والخيمة النايلية تختلف من حيث اللون والاتجاه (القِبْلَة)، بحيث وجهة النساء تكون على اليسار، وجهة الرجال على اليمين .
- **أما اللون الأسود:** عادة هي مسكن عائلي مصنوع من شعر الماعز وصوف الغنم، ويكون عموما خيمة ـ متوسطة ـ ويفصل مكان الرجال عن مكان النساء في وسط الخيمة ستار يسمى **"الحمل"** وتكون وجهة النساء على اليمين وجهة الرجال على اليسار، وتثبت بأعمدة والعمود

الرئيسي الذي يوضع وسطها يسمى ركيزة والخيم المتجاورة تسمى **"السماط"**(بوحالفة، 2010، صفحة 83).

ب. لباس الرجال والنساء:

إنسان المنطقة مارس الصناعة التقليدية منذ سنيين ومازال يمارس بعضها حتى الآن، ولا يمكن الاستغناء عنها، وهذا بحكم ارتباطه بالفطرة والبيئة وظروف الحياة وشكلها، حسب احتياجاته الضرورية وفق قدرته الجسمية والفكرية، فالرجال والنساء يشتركون في نوع الألبسة الأصلية المستعملة التي تشتهر بها المنطقة وتشترك فيها مع غيرها من المناطق الأخرى، (أيت قاسي، 2010، صفحة 75) بحيث:

- لباس الرجال المنطقة (خاصة الكبار) البرنوس، القشابية، الخيتوسة، وكذلك السروال العربي والبدعية والجبة والشاش أو الحفة، فمعظم ملابس الرجال الأصيلة تتّخذ من صوف الغنم ووبر الإبل، وتنتجها المرأة في منطقة بأدوات كانت مستعملة منذ القدم مثل: المنسج أو المنوال، واستمرت إلى يومنا هذا، فبقيت تلك الملابس سمة مميزة لمنطقة وضواحيها.
- أما لباس النساء (يتشابه بين الكبير والصغير) فأشهره الجبة النايلية مع الحولي فتدنيه على ظهرها وتتركه مرسلا وراءها، وتجعل شعرها ضفيرتين حول أذنيها فتشد رأسها بالمحرمة والعمامة أو الشدة، أما زينتها فتتخذه من وسائل جد بسيطة تتمثل في: الفضة والبرونز، (الذهب قليل وفرة)، إضافة إلى خواتم وأقراط وعقد والخلخال والمشرّف وحزام من فضة التي تشد بها على خصرها، أو تستعمل حزام من الخيوط يسمى **"الحميلة"** أو **"البثرور"** بالإضافة إلى شَرْكَة أو صرع العنبر، وعادة عند خروجها من البيت تلبس ملحفة بيضاء.

ج. آثار العمل الصناعي والحرفي:

ونظرا للإمكانيات الهائلة التي تزخر بها المنطقة من حيث الثروة الحيوانية من غنم وماعز وإبل، والتي تعتبر من السمات البارزة، فأول ما يلفت الانتباه هو إعداد الخيمة والتي هي المأوى الأساسي للإنسان، حيث تنسج المرأة القطع مشكلة للخيمة المعروفة بـ "لفليج" أو "الفلج"، "عبارة عن قطع نسيجية من صوف ووبر وشعر ماعز، تنسجه البدويات، لأنه أساس الخيمة، وهو قطع مستطيلة غير متناسبة، بحيث يصل طول فلج تقريبا إلى عشرين مترا ولا يتجاوز عرضه نصف متر، فتجمع حواشيه بأعداد معتبرة

تكفي لتشكيل خيمة، ويخاط الفلج مع الفلج ليشكل قطعة كبيرة هي جسد الخيمة، أو البيت أو العشة"(بوخالفة، 2010، صفحة 595)، كما ازدهرت بها صناعات كثيرة، مردها إلى أفكار تابعة من عقول أجدادنا وأسلافنا، والدافع إلى هذا هو تحسين الوضع المعيشي، بحيث ساهت في صناعة البرانس الصوفية والوبرية والقشابية والخيتوسة بالإضافة إلى صناعة الزرابي التي تحظى بتقدير، وقد سوق أثاث من الزرابيب والحنابل والأغطية والوسائد والأفرشة المختلفة ما فاض عن حاجة السكان إلى مناطق مختلفة في القطر الجزائري(حشلاف، 1984، صفحة 11)، لجودة وإتقان نساء المنطقة صناعتهن وحرصهن الكبير على إتقان عملهن، إضافة إلى الغرارة والتليس وهي أوعية لحمل المتاع والحبوب أثناء الهجرة الطويلة أو القصيرة...

وفضلا عن صناعة الجلود وذلك بعد تنقيته وتطهيره ما يسمى بـ "الدّباغة"(ينظر التعليق رقم 11): يصنع منه: (المزود لكونها تزود صاحبها بالمئونة، والشكوة لاستخراج اللبن والزبدة، والقِرْبَة للماء، وجلد المطحنة، ومحفظة الجيب خاصة بالنقود والوثائق، وتغليف المصاحف وصنع الأحزمة والأحذية...الخ)، دون أن ننسى صناعة "الصباغة"(ينظر التعليق رقم 12): التي تشتهر بها المنطقة وتشمل الصوف والجلود حسب الذوق الفني، إضافة إلى استعمال مادة "الحلفاء" التي تعبر عن ثقافة الأمة، كما أنها النافذة التي يمكن الإطلال منها لمعرفة أصول(بورايو، د ت، صفحة 38)، وبعض الأدوات المصنوعة من هذه المادة: الحصير والذي هو من اختصاص النساء وأكثر انتشارا في المنطقة، كذلك القفة بجميع أنواعها والسجاد للجلوس وللصلاة، والزنبيل لنقل البضائع، والرونية على شكل قفة كبيرة جدا تستعمل لتخزين الحبوب، والشبكة، المظلة، البردعة، القنينة للشرب ماء، القدحية لشرب اللبن، الأطباق للخبز والدقيق، الحبال....

وإلى جانب ما تقدم من الصناعة الحديدية والفخارية نجد: من الحديد (القدر والطاوة وصفائح والمغارف والخناجر للأكل، الفخاخ والبنادق للصيد، المسلة للخياطة، قرداش ومشط والخلالة لنسيج، المنجل والمحراث والمحش والمذرى والرفش والرسن للفلاحة، بالإضافة إلى أدوات أخرى، كالمعول، قالب البناء، السيوف، المسامير، حدائد حيوان...) (بورايو، د ت، صفحة 39)، ومن الفخار خاصة الأواني المنزلية: كالطاجين، والقدح، والبرمة، والكسكاس، والمثرد الفخاري...

كما لا ننسى صناعة الخشبية وصناعة الأسلحة و"البارود"(ينظر التعليق رقم 13)، التي توفرها المنطقة، ومن الخشب (أبواب وأسقف والسلالم خاصة بالبيت، المهراس والقصعة والمغارف للأكل، بالإضافة إلى صناديق، ألواح تعليم القرآن الكريم وأقلام كتابة، الحمارة، الركيزة للخيام، والعصا بجميع أحجامها، والمشط والهودج والخشبة والقوائم للنسيج...)، أما صناعة الأسلحة مثل البنادق (كرابيلة) كانت موجودة وأشهر صناعها عائلة المجاهد بن خليفة الحمدي، وصناعة البارود بحكم البيئة هذه المنطقة القاسية موحشة، يحتاج الإنسان إلى أقوى سلاح ليدافع عن نفسه من الحيوانات ومن بعض المعتدين، وانتقل استعمال هذه المادة من دور الدفاع والصيد إلى دور التباهي والافتخار بها الأفراح والمهرجانات.

د. فنون الأكل والشرب:

تتفنن النساء أهل المنطقة بأجود المأكولات التقليدية، تنقل لنا بذلك ثقافة عريقة تحمل في طياتها بعدا تراثيا أصيلا (حشلاف، 1984، صفحة 12)، ومن أشهر المأكولات هو الكسكس أو طعام ما يسمى بـ "البربوشة" في كل مناسبات المنطقة، يوضع فوق الطعام الّزبيب والسكر أو الدّهان (زبدة البقر أو الغنم ذائبة) يقدم هذا الطبق مع اللحم في الأعراس والمناسبات والأعياد وفي المآتم، أما الأطباق الأخرى فهي أيضا مهمة، ومنها: "الشخشوخة"و"الزّفِيطي"و"البغرير" والمردود أو ما يسمى بـ "العيش"، وتشيشة الفريك (من القمح) التي تقدم دائما في شهر رمضان الكريم كطبق رئيسي على مائدة الإفطار، بالإضافة إلى أكلات أخرى منها تشيشة المرمز (تشبه تشيشة الفريك ولكنها من الشعير)، والفلاق (شعير مطحون)، دون أن ننسى الروينة (قمح مرحي) الأكلة المميزة في المناسبات كالزّرْدَة والزّوْرَة (زيارة أضرحة الأولياء الصالحين)، وأكلة الرفيس (خبز مختلط مع معجون التمر ما يعرف بـ "**القرص**") والتي تقدم عندما بداية بناء المنزل أو عند زج الغنم، أما السيد المأكولات في المنطقة يقدم للضيف في مناسبات معينة هو "**المصوّر**": خروف مشوي محشي بتوابل محمر على نار طبيعية من الحطب، أما المشروبات التقليدية منها: اللبن والشاي وزيت الزيتون مثلما هو معروف عند العام والخاص والجور (عروق أشجار العرعار)، إضافة إلى "**الـــــــرُّبْ**"(بضم الراء) مربى التمر.

ه. الأحاجي والأمثال السائرة لإعمال العقل :

- **الأحجية**: المحاجية عند أهل منطقة هي طرح كلام مبهم غامض ليفسره السامع النبيه أو يقر بعجزه عند الجهل فيحل له الحاجي الأحجية من ذلك قولهم: مزوّد صوف يبات يشوف ثم يقول الحاجي ماهي؟ أو قل داب، وهذه أحجية تعني الكلب، وقولهم: أربعة دربك دربك، واثنين ترنيله واحد ينش في الذبان، وواحد يغنيلنا، وهذه الأحجية تعني الحمار، أو قولهم: حاجيتك لو ما هم ما جيتك، وهذه الأحجية تعني الرِجْلين.... وتلقى هذه الأحاجي عادة في الليالي الطوال لملء الفراغ.
- **الأمثال السائرة**: ويترد على ألسنة العجائز ويتسّلى به الفتيان والفتيات في مجالس الأنس في أقوال ذات معنى جميل والهدف منها نبيل(مرتاض ، 2015، صفحة 34)، كقول: خوك خوك ولا يغرك صاحبك، وقول: الراعي والخماس داوسو على الشي الناس، وقول: زيان بلا أحمد كبيت بلا أعمد ....

و. الأغاني والرقص الشعبي والألعاب للتسلية:

يردد الناس الأغاني الشعبية التي تشتهر بها المنطقة منها ماهو من نظم أهل المنطقة ومنا ماهو مجهول لا يعرف مصدره، وهذا بمصاحبة آلتي الدف "بندير" والناي القصبة أو ما يعرف بـ "الغايطة"، فمثلا: مناسبة الزواج (عندما تزف العروس) يردد من أغاني هذه المناسبة(دحو، 1989، صفحة 45).

الدَفَّاعَة جَبَّات الَعْرُوسَة ابْكَاتْ*** لُمْيّمَة ولْدَتّـهـا لَعْجُـوزَة وَالْقَاتْ*** مَا تَبْكِيشِي يَالَعْرُوسَة فِي حُرْمَة بَابَاكْ ***مَا تَبْكِيشِي يَالَعْرُوسَة مَاتْسَرْدَيشْ عَيْنِيكْ*** بِيكْ علَى لُمَيْمَة رَاهِي تّجِيكْ وَتْطُلّْ عْلِيكْ

ويصاحب تلك مناسبة حضور **"البراح"** الذي يتكفل بتبليغ التهاني وقبض النقود من المتفرجين، ويستخدم في ذلك كلاما مسجوعا مثل (هذه التبريحة في خاطر فلان وفلان) و (في خاطر الخواطر)، وينشط البراح الأعراس والحفلات والمناسبات، ويقدم رسائل في صيغ تعبيرية جميلة تسمو أحيانا بلاغتها ودلالتها على الشعر تثري دهشة الحضور، تستفز النساء فيزغردن تعبيرا عن رضاهن وإعجابهن بالتركيبة اللغوية أو القالب اللغوي الذي صاغ فيه البراح، كأن يقال :

اَلْغَايْطَة واَلْرُحَب... وَالبَنْدِير واَلْقُصَبْ ... والَفَصِيح اللِّي جَابْ كْلاَمُو زِينَ مْتُّرتَبْ... هذي ألف دينار في خاطر ...؟

ومن الأغاني التي تردد في مناسبة الختان ويطلق عليها أهل المنطقة اسم **"الطهارة"**، يتم فيها ختان الأطفال وتتم في مختلف سائر الأيام وعادة في السابع والعشرين من شهر رمضان، وتردد النساء جماعيا بهذه الطريقة:

طَهَّرْ يَا اَلْطَهَّارَ ... وطَهَرْ اوْلَيْدِي *** عَنْدِكْ لَتَجْرّحُو ... واَلْدَمْعَة تِجْرِي

أما المديح عادة يجتمع مشايخ كبار العرش ما يعرف بـ **"لَخْـوَان"** في بعض الأوقات من الليل جماعيا في ذكر الله وتوحيد له والتسبيح وصلاة على سيدنا المختار (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وأشهر ما يرددونه: صلاتك ربي والسلام على النبي، صلاة بها يشفى قليبي من الضر...

- **طابع الرقص الشعبي:** هناك العديد من الرقصات في المنطقة منها رقصة النايلية والفَّزاعي، تشبه رقص الخيل والسعداوي، لكن الرقصة النايلية هي المشهورة، يشترك فيها النساء والرجال والصغار والكبار، ولكن دون اختلاط بين الجنسين كـ الزندالي أو السعداوي .
- **أنواع الألعاب للتسلية:** عرفت المنطقة كثير من الألعاب وهي ألعاب من صميم التراث الشعبي وتوجد بنفس المقادير التي توجد في غيرها من المناطق المجاورة، مبدأها المنافسة وإعمال الفكر والتدبر والعقل، كـ الخربقة والسيق والحِدُّ (بكسر الحاء) ولعبة الكورة (التلومة) والسباق... وغيرها (محجوب و شريف، 2007، صفحة 50).

ـخاتمة:

إن الحاضر منطقة عين الملح هو امتدادا للماضي، ويعدّ السمة المميزة للمنطقة التي تعتز وتفتخر بتراثها، وتعتبره الجذر الذي يمتد في الماضي السحيق ليؤرخ ماضيها وأمجادها العظيمة، نتيجة عوامل التغيير التي تأتي نتيجة لتطبيق الحياة الحديثة، ونتيجة للمخالطات الثقافية والبشرية بوصفها عوامل بالغة التأثير والنفوذ على مادة التراث الشعبي وأشكاله، إلا أننا نرى أن هذه المأثورات الشعبية تملك من عناصر المرونة والخصوبة والقدرة على الملاءمة، بالفعل فإن منطقة عين الملح بيئة متفاعلة اجتماعيا مع محيطها الطبيعي ومحيطها البشري، الذي تتشابك فيه العلاقات الإنسانية المختلفة بدءًا

من القرابة النسبية وانتهاء بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتجارية، دون أن ننسى أهم تظاهرة شعبية التي تنظم سنويا من طرف أبناء المنطقة المسمى (**المقام**)، هذا اللقاء الذي يحمل في طياته عدة معاني الإنسانية ومميزاتها، والذي يعبر بصدق عن أنبل وأعظم ما يحمله سكان منطقة، مما اشتركت مع غيرها في ميراث ثقافي واحد، فقد تأثرت مع غيرها بنفس المؤثرات، بل بنفس درجة التأثير الثقافي الذي هيمن على جماعات أخرى على غرار قبائل أولاد نايل وأولاد دراج وأهل الزاب ...و غيرهم.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها، هو أن وجودنا الثقافي في حياتنا الاجتماعية التي تبرز الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهمية وحالة الموروث الثقافي، جمالية، وتاريخية، وعلمية، واقتصادية، أو القيم الروحية للماضي، والحاضر والمستقبل، يشكل الحصن الذي يحفظ خصوصيتنا وهويتنا لاسيما عند جيل الحالي، وعليه؛ نقترح ما يلي:

- استفادة من خبرات ومهارات خاصة لأجدادنا وأسلافنا في مجال الإبداع الأدبي والفني، لضرورة تحويل ثقافتنا من الاستهلاكية إلى المنتجة.
- الاهتمام بالموروث وجعل المجتمع أو المجموعة البشرية في حالة ازدهار وتطور في مختلف المجالات، قصد اطلاع على آليات الاستثمار في الموروث الثقافي.
- الاستشهاد بالقيم السامية في تعزيز الحوار بين الثقافات واحترام الإنسان لهويته ولانتمائه، وذلك لخلق أدوات لتحريك وجودنا الثقافي والمحافظة على خصوصياتنا.

- **التعليقات:**
- **التعليـق** 01: المـاجن : إحـدى أقـدم أحيـاء عـين الملـح حاليـا، ويكيبيـديا، https://ar.m.wikipedia.org
- **التعليق02:**- طيب يحياوي، عن مخطوط من ديوانه أخذت هذه المقطوعة.
- **التعليق 03:**- تناح بوضياف، ديوان مخطوط للشاعر، المقطوعـة مـن قصـيدة حفلة حمزة.
- **التعليق 04:**- طريقة الرحمانية : طريقـة صـوفية تجمـع بـين العلـم والتربيـة، تأسست في 1774م من قبـل سـيدي امحمـد بـوقبرين بـن سـيدي عبـد الـرحمن الجرجري، فـي قريـة أيـت إسـماعيل قـرب بـوغني فـي منطقـة القبائـل. موقـع المعرفة، www.m.marefa.org

- **التعليق 05:**يقصد بالرحلتين : رحلة مع بداية الشتاء إلى الصحراء بحثا عن الدفء وكذلك جني التمور، والرحلة مع بداية الصيف إلى التل مناطق الشرقية والشمالية والغربية بحثا عن المراعي المناسبة صيفا واستئناف نشاطهم المعتاد القائم على الرعي والفلاحة.
- **التعليق 06:** الرِثْبَة : الغرض منها تخزين الأهالي مدخراتهم المختلفة مثل : (قمح، شعير، مشمش مجفف، ففل مجفف، طماطم مجفف...) ولها حارس مستقر يتولى حراستها، وهي رمز لوحدة الجماعة وملتقى أفراد القبيلة بما تحويه من كنوزهم وأقواتهم ونقطة التقاء ببعضهم البعض.
- **التعليق 07:**هو أحمد بن يحي بن يحي بن محمد بن عبد الله الخرشفي المدعو سيدي نايل، أمه رقية البوزيدية نسبة للبوازيد الأشراف، جده العالم الشريف الصالح الظريف سيدي عبد الله البوزيدي الذي ينتهي نسبه إلى قبيلة الأدارسة الأشراف.
- **التعليق 08:**هو محمد بن أبي القاسم الهاملي مؤسس زاوية القاسمية بـ الهامل.
- **التعليق 09:**هو المختار بن عبد الرحمان بن محمد بن يوسف صاحب القبة المعروفة بـ سيدي خالد بن عبد الرحمان "المدفون قرب ضريح خالد بن سينان العبسي"، مؤسس زاوية المختارية بـ أولاد جلال.
- **التعليق 10:**عبد القادر بن محي الدين الجزائري، ديوان مخطوط للشاعر، المقطوعة من قصيدة يا عذرا لأمرئ قد هام في الحضر.
- **التعليق 11: الدباغة:** هي مادة تصنع من النباتات وعرق وقشور الأشجار مثل (قشور الرمان، والعرعار، ورق الأشجار، قشور وعروق البلوط، ومحاشي الصنوبر) ثم تضاف إليهم مادة قطران، وهذه صناعة خاصة بالجلود لاحتياج الإنسان للجلد.
- **التعليق 12:** الصباغة: هي مادة تستخرج من بعض النباتات أو الأشجار أو عروقها كالحبر الأحمر مثلا يستخرج من شقائق النعمان، والصمغ يستخرج من شجرة البطم.
- **التعليق 13:** البارود: يتم صنعه من أغصان أشجار الدفلى المجردة من اللحاء إضافة إلى مادة الملح الموجود في الكهوف.

قائمة المصادر والمراجع:

-العربـي دحـو، (1989)، الشـعر الشـعبي ودوره فـي الثـورة التحريريـة، ج01، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
-حميدة عميراوي،(2004)، السياسة الفرنسية فـي الصـحراء الجزائريـة (1844-1916)،عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر
-ذهبيـة أيـت قاسـي، (2010)، الثقافـة الشـعبية فـي البـرامج الناطقـة بالأمازيغيـة، رسالة ماجستير، قسم الادب العربي، كلية الأدب العربي والفنـون، جامعـة وهران، الجزائر.
- عبدالحميـد بورايـو، (د ت)، فـي الثقافـة الشـعبية الجزائريـة: التـاريخ والقضـايا والتجليات،الجزائر: دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبـدالرحمن ابـن خلـدون، (2000)، العـرب وديـوان المبتـدأ والخبـر، مـج 07، عمان، الأردن: بيت الأفكار الدولية.
- عبد القادر لباشي، (د ت)، فتنة ذاكرة ــ دراسة نقدية لتشكيل التراث الشـعبي فـي الشعر الجزائري المعاصر،د ب: نور للنشر والتوزيع.
- عبـد المالـك مرتـاض، (2015)، الألغـاز الشـعبية الجزائريـة، الجزائـر: ديـوان المطبوعات الجامعية.
- عثمان حشلاف، (1984)، التراث والتجديد في الشعر السياب، رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تيزي وزو، الجزائر.
- عـزي بوخالفـة، (2010)، الحكايـة الشـعبية الجزائريـة، ج 01، الجزائـر: دار سنجاق الدين للكتاب.
- عـزي بوخالفـة، (2010)، مـن قـاموس العـادات والتقاليـد الجزائريـة. ج 02، الجزائر: دار سنجاق الدين للكتاب
- عمـر عـلاوة، (2009/03/28)، 50 عامـا علـى معركـة جبـل ثـامر، موقـع جزايرس: https://web.archive.org/web/20180518054933/.
- فـاروق أحمـد مصـطفى، (2008)، الأنثروبولوجيـا ودراسـة التـراث الشـعبي، دراسة ميدانية. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكـتاب.
- محمد الغزالـي، (2005)، كيـف نفهـم الإسـلام. القـاهرة: نهضـة مصـر للطباعـة والنشر والتوزيع.
- محمد عبد محجوب، و فاتن محمد شريف، (2007)، التراث الشـعبي ودراسـات ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية، مج 1، الاسكندرية: دار الوفاء للنشر.